

الضوء القرآني والسني على عقيدة النبهاني

تأليف

فضيلة الشيخ

عبد القادر حبيب الله السندى

طبع ونشر

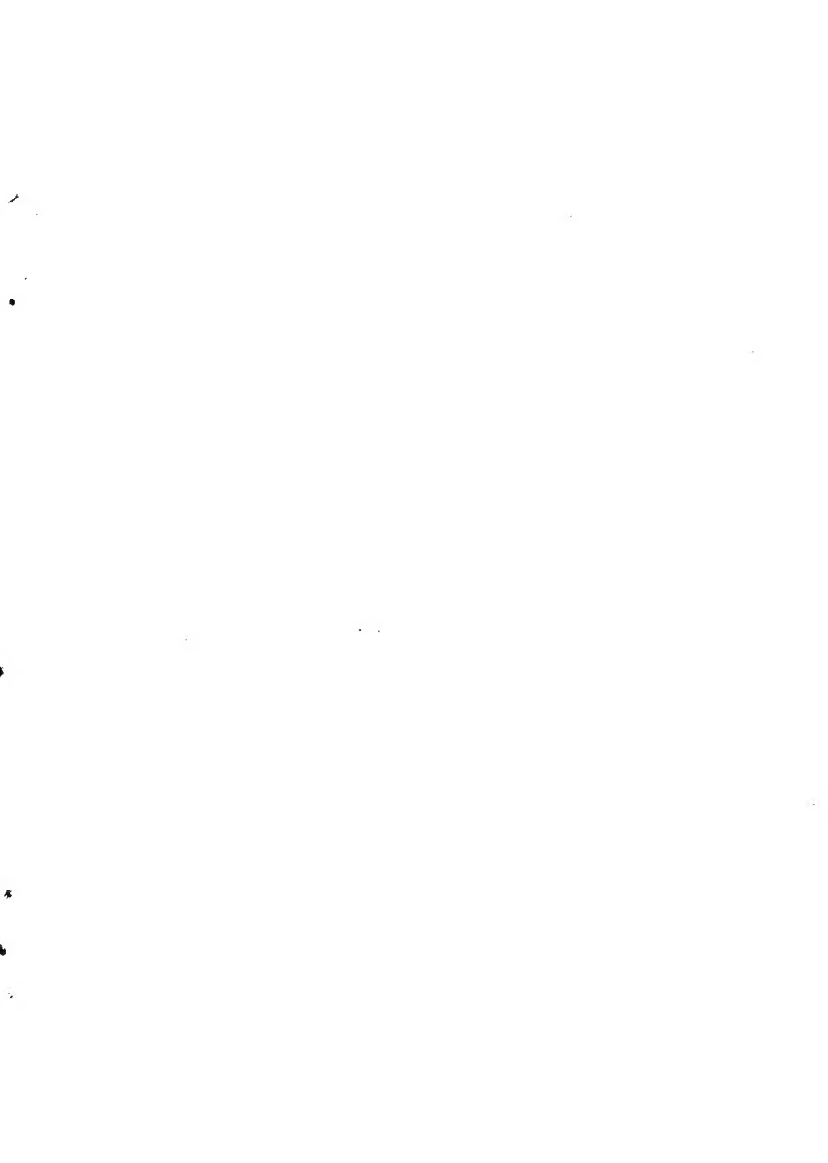
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الإدارة العامة للطبع والترجمة

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

١٤٠٥ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله، وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

فلقد كنت قد حررت بعض الملاحظات الخفيفة على كتابة محمد حسن بن علوي بن عباس تلك الكتابة التي كتبها مدحاً، وثناءً على محمد زاهد الكوثري، وأحمد زيني دحلان، وكنت قد بينت بعض حال المذكورين في مقال متواضع نشرته مجلة الجامعة الإسلامية الغراء في عددها الثالث من السنة السابعة، وهو بعنوان عرض ونقد لما كتبه محمد علوي مالكي حول الكوثري، والدحلان.

وكنت قد نفيت في المقال المذكور معرفتي لبقية الرجال الذين ترجم لهم وهم الذين تتلمذ عليهم والده علوي بن عباس أو كانت له بهم صلة علمية، إلا أنني قد أمعنت النظر مرة ثانية فيما كتبه محمد علوي في رسالته «اتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية» المطبوعة بدمشق الشام في عام ١٣٨٧هـ فوجدت رجلا آخر قد ترجم له في رسالته المذكورة وهو «يوسف بن إسماعيل بن حسن النبهاني الشامي» صاحب كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» ذلك الكتاب الذى رد عليه العلامة الإمام محمود شكري الألوسي في كتابه البارع العظيم (غاية الأماني في الرد على النبهاني) هذا الكتاب المبارك الذى يقول عنه شيخنا العلامة الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل النائب للشئون الدينية بالمسجد الحرام، وإمام الحرم المكي متعنا الله بحياته ناقلًا عن العلامة الشيخ رشيد رضا «المنار ٧٨٥ ــ ١٢» : غاية الأماني في الرد على النبهاني، كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام، المكنى بأبي المعالي الحسيني

السلامي الشافعي، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه شواهد الحق، من الجهالات، والنقول الكاذبة والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة في جواز الإستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم، وأنصار السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن قال: وفي هذا الكتاب مالا أحصيه من الفوائد العلمية، في التوحيد، والحديث والتفسير، والفقه والتاريخ، والأدب، وما انفرد به بعض المشاهير، فأنكره العلماء عليه كالإنكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما، فعلى هذا الكتاب، نحيل الذين يكتبون إلينا في الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله، ونقوله، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه، والرد عليها أنه لا يوثق بعمله، ولا نقله، هو من قبيل السب حاشا لله ماهو إلا ما نعتقده فيه أو في كتبه بعد النظر في بعضها، ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة، والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة. فمن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر

الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلاً له أ هـ[1].

قلت: ولقد وجدت محمد علوي مع وجود كلام أهل العلم في النبهاني قد أثنى عليه في رسالته المذكورة ثناءً عطراً ووصفه بأوصاف كبيرة، ولقبه بألقاب ضخمة، وهو بعيد عنها بعد المشرق من المغرب، فلما كان هذا الثناء العظيم، والوصف مخالفاً للواقع، وتأييداً له في طعنه في أئمة الدعوة المحمدية من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في النهج القويم، والصراط المستقيم، والعقيدة الصافية النقية كالإمام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الرشيد البار الإمام ابن قيم الجوزية ومن معهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. كالإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى؛ أحببت أن أبين بعض حال النبهاني وما كان عليه من سوء الحال وشنيع المقال مع بيان منزلته العلمية، وما قام به من الطعن في دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ونشره

---

١ ــ من ترجمة المؤلف لشيخنا العلامة محمد بن عبدالله بن سبيل من غاية الأماني في الرد على النبهاني ص ١٠ / ١.

الكفر الصريح، والضلال المبين والبدع المذمومة بجميع أنواعها. ناقلا ذلك عن كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ليس ذلك تشنيعاً على أحد أو شماتة فيه ولكن بيانا للحق ــ إن شاء الله تعالى ــ ورفعا لشأن الدعوة المحمدية، ونشرها ودفاعا عن الإسلام وعن دعوته الكريمة السامية.

ولقد وجد في رسالة محمد علوي ملاحظات أخرى ضرورية وهي خطيرة جداً سوف أتعرض لها ــ إن شاء الله تعالى ــ فيما بعد في حلقات مسلسلة، بيانا للحق وتوضيحاً له، وأداء للأمانة العلمية، وتبرئة للذمة أمام الله تعالى الذى أخذ الميثاق والعهد على أهل العلم بتبليغ الحق وتفسيره أمام الخلائق، مع دعائي وتضرعي إلى الله جل وعلا أن يجعلنا وسائر أهل العلم من دعاة الحق وأنصاره، وأعوانه حتى نلقى الله تعالى بلقاء كريم مُرْضٍ. فإن وفقت في هذه الكتابة بإصابة الحق والصواب فهو محض كرم وفضل وتوفيق من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فهو من

نفسي، ومن الشيطان فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال محمد حسن في رسالته المذكورة مترجماً للنبهاني: العلامة أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن حسن النبهاني، الشامي، الشافعي مذهباً، المولود سنة ١٢٦٦هـ والمتوفى ١٣٥٠هـ حسان آل البيت، وبوصيري عصره، الشاعر، المفلق، الذائع الصيت، محب آل البيت، متمكن في اللغة العربية، والفنـون الأدبيـة، مداوم المطـالعـة، ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها، بل اقتصر على المدائح النبوية، والموضوعات الدينية، وأول ما ظهر من مؤلفاته الشرف المؤبد لآل سيدنا محمد[1]

قلت: لا يوافقكم أهل العلم العاملون بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ممن عرفوا هذا الرجل معرفة جيدة بتشبيهكم له بحسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذى نافح عن رسول الله صلى الله عليه

١ ــ اتحاف ذوي الهمم العليه ص ٢٦ ــ ٢٧.

وسلم، وعن رسالته السامية المخرجة عن ظلمات الشرك والبدعات إلى نور العلم الصحيح، والتوحيد الخالص والعقيدة الصافية النقية قال الحافظ: وفي الصحيحين من طريق سعيد بن المسيب قال: مر عمر رضي الله تعالى عنه على حسان في المسجد وهو ينشد الشعر فلحظ إليه. فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أجب عني اللهم أيده بروح القدس؟ وقد أخرج الشيخان أيضاً من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان: أهجهم أو هاجهم ــ وجبريل معك. وقال الإمام أبو داود في سننه: حدثنا لوين، عن ابن أبي الزناد عن أبيه، عن هشام بن عروة[1]، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائما يهجو الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه

(١) في الأصل عن أبي الزناد وفي السنن ج٤ ص ٣٠٤ حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة وهشام عن عروه ١هـ الناشر.

وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. قلت: فهذه الأحاديث نص صريح على أنه صلى الله عليه وسلم رضي بشعر حسان ووافقه على ما دعا إليه من تقوية العقيدة الإسلامية وهجاء الكفار المعاندين لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره فدعا له صلى الله عليه وسلم بالتأييد، والتوفيق والسداد.

فأين منزلة هذا الصحابي الجليل المؤيد بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، من منزلة النبهاني الذى قضى حياته كلها تقريبا في معارضة الدعوة المحمدية، وهي دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما سوف يأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى. كفى النبهاني كفراً بواحا، ومعصية كبيرة، ومخالفة صريحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه المتين ونظامه الرفيع أن يرأس في آخر حياته محكمة الحقوق المدنية ببيروت وهي محكمة مدنية، لا دينية

---

١ ــ الإصابة ١/٣٢٦

لا يخفى حالها السيء ونظامها اللعين المخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقال الأستاذ عمر رضا كحالة: تولى القضاء في قصبة جنين من أعمال نابلس، ورحل الى القسطنطينية. وعين قاضيا بكوي سنجق من أعمال ولاية الموصل، فرئيسا لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثم بالقدس، فرئيسا لمحكمة الحقوق ببيروت[١] وقال الأستاذ الكبير خير الدين الزركلي: قال صاحب معجم الشيوخ: للنبهاني كتب كثيرة خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام كابن تيمية وابن القيم حملات شعواء، وتناول مثل الإمام الألوسي المفسر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني، وآخرين، ورد عليه محمود شكري الألوسي في غاية الأماني في الرد على النبهاني، والثاني الآية الكبرى على الرائية الصغرى[٢] قلت: كيف هو محب آل البيت النبوي ويرأس في آخر حياته محكمة الحقوق المدنية ببيروت؟! يقول العلامة الألوسي

---

١ ــ معجم المؤلفين ٢٧٥ ــ ١٣/٢٧٦.

٢ ــ الأعلام ٩/٢٢٩

بعدما نقل عنه العقائد الفاسدة الكفرية كعقيدة وحدة الوجود والاتحاد والحلول قال رحمه الله تعالى: هذا حال النبهاني في عقائده، وجهله في العلوم العقلية والنقلية أشهر من أن ينبه عليه كما ستعلمه إن شاء الله تعالى. لكن بقي علينا بيان حاله وماهو عليه إلى اليوم من أفعاله، وأعماله، وحيث أني لم أقف على حقيقة أمره ــ وإن كان ما نشره من الكتب تطلعنا على حلوه ومره ــ سألت عنه بعض الأفاضل من الأصحاب ممن رآه واجتمع به وعرف ما عنده من الفصول والأبواب، فكتب كلاماً طويلا فيه، وعرفني بظاهره، وخافيه فمن ذلك قوله: إن النبهاني قد قضى شطراً من عمره في المحاكم النظامية، وتسمى أيضاً بالمحاكم القانونية، ثم ذكر كلاما طويلا في بيان حال تلك القوانين، وما فيها من المخالفة لقواعد الدين، ثم قال: إن النبهاني تولى رئاسة الجزاء في بيت الله المقدس عدداً كثيراً من الأعوام، وبين حقيقة هذا المنصب وما يتعاطاه الرئيس من الأحكام، قال: ثم تحول إلى رئاسة محكمة البداية في بيروت، وبين ما يرى في هذا المحل من الوظائف والمواد، ثم

قال: وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، قلت: إن كان صادقا عليه ذلك المقال يكون تائها في أودية الجهل والضلال، فكيف يدعي الإيمان فضلا عن دعواه المحبة لسيد ولد عدنان، وهو معرض عن هديه، وسنته، ناء عن العمل بشريعته فهلا قرأ قوله تعالى ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾ ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾[1] قلت: فليقارن بين ما ادعى من المحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولآله وبين ما تولى من المناصب الهامة في تلك المحاكم القانونية المدنية المخالفة لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النظام العادل الموافق للطبيعة البشرية جمعاء، فعجبا لهذه المحبة المزعومة ودعوى صاحبها الطويلة العريضة وهو بعيد عنها بعد المشرقين عن المغربين فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأما البوصيري فهو محمد بن سعيد البوصيري الشاعر فلم يكن من أهل العلم ولا البصيرة، وكان يعاني من

---

١ ـ سورة المائدة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ أنظر غاية الأماني ١/٥٣.

الكتابة كما حكى ذلك العلامة ابن العماد في شذرات الذهب، والصفدي في الوافي بالوفيات، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات وغيرهم من أهل العلم رحمهم الله تعالى فما له معروف عندهم وهو صاحب قصيدة البردة وأكثر شعره مخالف لدعوة الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وكانت وفاته في مصر في القرن السابع في بوصير قرية (من قرى مصر) وليست له منزلة علمية كبيرة، فلا بأس أن تشبهوا النبهاني به لأنهما وقفا موقفاً واحدا يحاربان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الدعوة الكريمة التي لأجلها أوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الأذى من قريش وانجرحت قدماه بالطائف. فهاجر لأجلها من مسقط رأسه صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. فلقي في سبيل نشرها ما لقي من ألوان المتاعب والمصاعب التي لا نظير لها في تاريخ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولأجلها سقطت ثنيتاه في غزوة أحد. وقد يكون حال البوصيري المذكور أحسن بكثير من حال النبهاني الذى ذهب مذهباً بعيداً جداً وقد نقله عنه الشيخ

محمود شكري الألوسي في كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني إذ قال رحمه الله تعالى : الأمر السابع من تلك الأمور: أن من علم حال النبهاني وماهو عليه من المعرفة، وما يعتقده من العقائد، ويراه من الآراء لم يلتفت إلى ما ذكره في كتابه الذى سماه شواهد الحق ولا غيره من هذيانه الصريح، فإن الرجل جاهل ـــ كما ستعلمه من رد كتابه هذا ـــ سقيم الفهم بإخبار العدول الثقات، ورواية الصادقين من الرواة، وما نشره من هذيانه، أعدل شاهد على ذلك، وأصح دليل على ما هناك فضلاً عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه، وخالطوه، وعرفوا حاله، وشاهدوا أعماله، ومع ذلك نذكر كلام بعضهم فيه ليحمد الله من عوفي من شقائه وعضال دائه.

قال العلامة الفاضل السيد بدر الدين الحلبي في كتابه (الإرشاد والتعليم) عند ذكره مقالات الأمم ـــ ما نصه : ومن شنيع مقالاتهم في الإسلام قولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان، ولا مكان يريدون بذلك أنه

مامن زمان إلا وهو فيه موجود ولا من مكان إلا وهو فيه موجود، قال حفظه الله تعالى : وهذه المقالة الشنيعة لم نرها لأحد من المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين، ولا رأيناها في كتب العقائد ولا كنا نظن أحداً يقول هـــذه المقالة الشنيعة وإنما ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي صاحب الكتب الكثيرة في الأدعية والصلوات في منظومة له سماها «طيبة الغراء» ناقلاً لها عن البرهان الحلبي، قال: ذكر يوسف النبهاني أنه اطلع على رسالة ألفها البرهان الحلبي في هذا الموضوع فطالعها، وانتفع بها[1] ثم أجابه الشيخ محمود الألوسي بقوله: ويا ليت شعري أي دليل قام عند هذا الذى قال هذه المقالة الشنيعة حتى قال بها؟؟ هل تلا في ذلك آية منزلة من كتاب الله تعالى، أو حديثا صحيحاً من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟؟

إن قال ذلك: فقد كذب وشهد على نفسه بالكذب، أو ساق الدليل الذى أورده المتكلمون على أن الباري جل

١ ــ غاية الأماني في الرد على النبهاني ص ١/٩٥

شأنه لا يحويه زمان ولا مكان في النبي ﷺ، فحكم له بما حكم به للباري جل وعلا، فهو عين الشرك الصريح، ومثل هذه العقائد الفاسدة الباطلة الكاذبة يلقيها أهل الغفلة من المنتمين للعلم في آذان العامة فتصادف منهم قبولا، وتجتمع عليها قلوبهم حتى يصير من المتعذر نزعها من أذهانهم، وربما كفَّروا من أنكرها عليهم، ورأوا أن إنكار ذلك نوع من الإلحاد في الدين واستخفاف بصاحب الشريعة المطهرة ﷺ .أهـ قلت: هذه عقيدة أهل الحلول والاتحاد وهم القائلون بوحدة الوجود وإمامهم في ذلك محي الدين ابن عربي الحاتمي المكي صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرها من الكتب الكفرية وهو القائل: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها. وقال عبدالكريم الجيلي: إن النصارى لم يكفروا بأصل الحلول وإنما كفروا بالحصر الذى تضمنه كلامهم إن الله هو المسيح لا غيره من الأشياء ولو عمموا لم يكفروا. وهذا الكلام مما تقشعر منه جلود المؤمنين، نقول: فقول النبهاني إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان ناقلًا ذلك عن البرهان الحلبي هو من

شعب ذلك الوادي.

وهناك بوصيري آخر، وهو إمام أهل الحديث في عصره وهو الإمام العلامة أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن قايماز عثمان بن عمر الكناني المحدث شهاب الدين ولد في محرم سنة٧٦٢هـ سمع الكثير من البرهان التنوخي، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي والطبقة وحدَّث، وخرَّج، وألف تصانيف حسنة، منها زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة، وزوائد سنن البيهقي الكبرى على الكتب الستة، وزوائد المسانيد العشرة على الكتب الستة، وهي مسند الطيالسي ومسند مسعود بن مسرهد، والحميدي، والعدني، وابن راهويه، وابن جميع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي أسامه، وأبي يعلي ولم يزل مكباً على كتب الحديث وتخريجه إلى أن مات رحمه الله تعالى في محرم سنة أربعين وثمانمائة قاله الحافظ تقى الدين بن فهد المكي. فإن أردتم تشبيه النبهاني بهذا الحافظ فلا يرضى أحد من أهل العلم بالحديث. فأرجو أن يكون قصدكم بالبوصيري محمد بن سعيد الشاعر المعروف.

وأما قولكم في حق النبهاني: متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، مداوم المطالعة ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها.

قلت: ليس الواقع كما ذكرتم بل الشواهد والحقائق التي سوف أنقلها لكم من كلامه في كتابه الذى سماه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ترد عليه رداً قاطعاً فتجعله إنساناً لم يشم رائحة العلم، أو عنده علم إلا أنه خالف طريق العلم الصحيحة عناداً، وتكبراً وزوراً وبهتاناً على أئمة الدعوة المحمدية، وإن كان الأول فهو أهون وإن كان الثاني فالخطب جلل كبير خطير.

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة
وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

قال يوسف بن اسماعيل النبهاني في كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» المطبوع بمصر سنة ١٣٢٣هـ: الباب الثالث في نقل كلام الإمام العلامة ناصر السنة في هذا الزمان سيدي أحمد دحلان مفتي

الشافعية في مكة المشرفة في كتابه «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» وذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية ينبغي أولًا أن نذكر الشبهات التي تمسك بها ابن عبدالوهاب في إضلال العباد، ثم نذكر الرد عليه ببيان أن كل ماتمسك به زور، وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين، فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، وفي زيارتهم قبره ﷺ وندائهم له بقولهم: يارسول الله نسألك الشفاعة، وزعم أن ذلك كله شرك، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾. وقوله تعالى : ﴿**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾ وقوله تعالى : ﴿**ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين**﴾ وقوله تعالى: ﴿**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً**

من الظالمين﴾ وقوله تعالى : ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ وقوله تعالى : ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ وقوله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ .

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين، قال محمد بن عبدالوهاب إن من استغاث أو توسل بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء، والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين، ويكون داخلا في عموم هذه الآيات، وجعل

زيادة زيارة قبر النبي ﷺ أيضاً مثل ذلك[1]

قلت: هذا كلام شيخ والدكم نقلته لكم حرفياً، والذى وصفتموه بقولكم : متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية. يشهد عليه كلامه هذا بالجهل المركب، والسفاهة المتناهية لم يسبق لها مثال سابق في تاريخ العلم وأنا سوف أتصدى لكلامه هذا بالرد عليه فقرة فقرة مستعينا بالله جل وعلا ومستمدا العون منه سبحانه وتعالى لكي يتضح حاله وحال أتباعه الذين يضللون الأمة الإسلامية وما أكثرهم اليوم لا كثرهم الله تعالى.

فأقول: إن عنوان كتابه هذا ــ شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق ــ غير صحيح فضلاً عما في داخل الكتاب من الضلال المبين، والكفر الصريح، والكتاب أجدر به أن يسمى شواهد الضلال والكفر والعياذ بالله.

أخرج الإمام البخاري ومسلم وأحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قام فينا النبي

١ ــ شواهد الحق للنبهاني ص ٧٥ ــ ٧٦ من طبعة سنة ١٣١٣ بمصر.

ﷺ فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره، قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة يقول: يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وعلى رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول: لاأملك لك شيئاً قد أبلغتك أو على رقبته رقاع تخفق فيقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا وقد أبلغتك ثم ذكر الحديث[1] قال الحافظ: قوله : لا أملك لك شيئاً ، أي من المغفرة لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى، وقوله : أبلغتك. أي فليس لك عذر بعد الإبلاغ[2] قلت: فالشاهد في هذا الحديث الشريف على بطلان عنوان الكتاب ــ أي كتاب النبهاني ــ وعدم صحته واضح بين، وهو أنه ﷺ وإن كان هو صاحب الشفاعة العظمى ــ كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة ــ لا يغيث يوم القيامة أحداً قبل أن يأذن الله تعالى

---

١ ــ أخرجه البخاري الجهاد ١٨٩، مسلم الإمارة ٢٤، والإمام أحمد في المسند ٢/٤٢٦

٢ ــ فتح الباري ١٨٥ ــ ٦/١٨٦

له بالشفاعة العظمى ليشفع لمذنبي أمته ﷺ دون الكفار والمشركين، فكيف يستغاث به بعد انتقاله ﷺ من هذه الدنيا الفانية إلى الرفيق الأعلى مع أن يوم القيامة هو أقرب الأوقات وأنسبها للاستغاثة به ﷺ وهو الصادق المصدوق ﷺ يقول يوم القيامة لصاحب الفرس والبعير ويكرر: «لا أملك لك شيئا وقد أبلغتك» فالنبهاني في عنوان كتابه هذا يكذب النبي ﷺ في مقالته تلك المباركة يوم القيامة، والتي أجمعت الدنيا كلها من السلف والخلف من علماء السنة المطهرة وعلى رأسهم أئمة الهدى الأئمة الأربعة الإمام الجليل أبو حنيفة والإمام الشافعي، والإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل والبخاري، ومسلم وغيرهم رحمهم الله تعالى على أن تلك المقالة صدق، وحق، ودين وأن صاحب الفرس الذى يأتي إلى النبي ﷺ مستغيثاً به أن ذنبه ذاك ليس من الشرك بل من الكبائر، والذى يتبرأ منه رسول الله ﷺ قبل أن يأذن له ربه جل وعلا بالشفاعة، فكيف حال من يدعو من دون الله تعالى ويستغيث به في أمور لا يستطيعها أحد إلا المولى جل وعلا؟؟!

ومن هذا القبيل خطابه ﷺ لإبنته البتول فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أجمعين وعمته صفية بنت عبدالمطلب الهاشمية القرشية رضي الله تعالى عنها. أخرج الإمام البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى عليه ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ قال: يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا.. يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا[1] ومن هذا القبيل ما أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بإسناد صحيح، خطابه ﷺ لعمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه قال عباس رضي الله تعالى عنه: يارسول الله: أنا عمك كبرت

١ ـ أخرجه البخاري في الجامع الصحيح.

سني، واقترب أجلي فعلمني شيئا ينفعني الله به، قال: يا عباس أنت عمي ولا أغني عنك من الله شيئا ولكن سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة قالها ثلاثا الحديث[1] فكان النبي ﷺ ــ معاذ الله ــ عند النبهاني ــ ومن سار على نهجه ــ الذى هو متمكن في اللغة العربية ومحب آل البيت في نظركم في عنوان كتابه، شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق. غير صادق في خطابه هذا لجملة من أقاربه ﷺ وهم عمه العباس وعمته صفية وابنته فاطمة رضي الله تعالى عنهم، وهؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم في غزوة تبوك عن رسول الله ﷺ وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله تعالى عنهم الذين اعترفوا بتخلفهم من غير عذر عند رسول الله ﷺ فقال لهم ﷺ تلك المقالة المعروفة التي تناقلها ثقات المحدثين بأسانيدهم الصحيحة عن رسول الله ﷺ: قوموا حتى يقضى الله فيكم وليس لكم عندي شيء يخرجكم من

١ ــ الإمام أحمد في المسند ١/٢٠٦

موقفكم هذا، ونهى جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن كلامهم إياهم، فكان أمرهم، وشأنهم معروفاً معلوماً لدى جميع الصحابة رضي الله عنهم، وقد صور القرآن الكريم حالتهم التي توصلوا إليها في النهاية إذ يقول جل وعلا في محكم كتابه ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم**﴾[1]

لماذا لم يستغيثوا برسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم ﷺ ولماذا لم يغثهم رسول الله ﷺ في تلك الحال وهو رؤوف رحيم كما وصفه ربه جل وعلا في كتابه إذ يقول جل وعلا: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾.

أهذه الآيات نزلت أيضاً في قريش في نظر النبهاني الذي هو متمكن في اللغة العربية عندكم؟!. فانظر حال من

١ ــ سورة التوبة الآية ١١٨.

اعتذر بتخلفه عن رسول الله ﷺ، من الكذبة المنافقين وغيرهم الذين قبل منهم رسول الله ﷺ عذرهم وبايعهم ودعا لهم بالمغفرة ﷺ فكان دعاؤه لهم حسب ما ظهر له ﷺ من أمرهم وشأنهم دون ما كان في قلوبهم وضمائرهم من الكذب والغش ولم يفدهم ذلك شيئاً بل زادهم نقمة وعذاباً، وقد صور القرآن الكريم حالتهم إذ يقول جل وعلا: ﴿**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس، ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾(١)

فكفى النبهاني معصية كبيرة على أقل تقدير أن يكذب الله تعالى في كلامه هذا المبارك، ورسوله ﷺ في صحيح

١ ــ سورة التوبة الآيات ٩٤ ــ ٩٦.

سنته المطهرة في عنوان كتابه هذا، شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق. وقد استغاث به ــ صلى الله عليه وسلم ــ في آخر حياته عبدالله بن أبيّ بن سلول المنافق المعروف عندما بعث ابنه عبدالله الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد مرجعه ﷺ من غزوة تبوك لكي يدعو له ويصلي عليه بعد موته، وفعلا توجه إليه رسول الله ﷺ فدعا له وصلى عليه صلاة الجنازة، وهو على قبره وقد ذكَّر عمر رضي الله تعالى عنه النبي ﷺ بجميع مواقف هذا المنافق التي وقفها ضد الدعوة المحمدية.

ألم تكن هذه استغاثة تمكن منها النبي ﷺ في حياته الدنيوية في حق ابن أبيّ بن سلول؟ ولكن ماذا كان من أمرها، وشأنها فيما بعد، هل نفعت صاحبه مع اعترافه بمقام النبي ﷺ الرفيع عند مولاه جل وعلا؟

نعم: ينزل القرآن بعد وقفات قليلة مبيناً حال هذه الاستغاثة، وقيمتها إذ يقول جل وعلا مخاطباً نبيه ــ الشافع العظيم في يوم الجزاء ــ ﷺ ﴿**استغفر لهم أو لا**

تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ نقف هنا قليلا لكي نطلع على موقف المصطفى ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة. هل توقف عليه الصلاة والسلام عن الإستغفار والدعاء له من ربه جل وعلا في حق ابن أبيّ ابن سلول؟ فثارت[1] فيه عاطفته العظيمة ورحمته المثالية، ورأفته الشامخة كما وصفه الله جل وعلا فاستمر في الدعاء والإستغفار للمنافق المذكور وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى لم ينهني في هذه الآية صراحة عن الإستغفار والدعاء وسوف أزيد عليه فوق السبعين مالم أنه عنه، ولا يزال الفاروق يذكره مواقف هذا الظالم المنافق ويقول له صلى الله عليه وسلم فداك أبي وأمي إن الله قد نهاك في هذه الآية ــ وقد وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في هذا المعنى ــ ولم يقتنع المصطفى عليه الصلاة والسلام بكلام عمر رضي الله تعالى عنه ثم ينزل القرآن الكريم لفصل الخطاب إذ يقول جل وعلا:

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب أو ثارت...

﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا وهم فاسقون﴾
ولقد عرفنا إن شاءالله تعالى أثناء سرد هذه الأدلة من الكتاب والسنة أن تسمية النبهاني لكتابه ذاك باطل شرعا، وعقلا، أما الشرع فقد مضت بعض الأدلة على ذلك فارجع إليها أيها الأخ الكريم بالنظر الصحيح، والعقل السليم، وأما العقل، فهو يمنع الإنسان الفطري عن هذه الغواية، والضلالة التي تمسك بها النبهاني ومقلدوه، لأنها تخالف دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين بعثهم الله تعالى ببعثة مباركة عظيمة بتوجيه الإنسانية كلها إلى خالقها، وبارئها جل وعلا في جميع أنواع العبادة، دون أن تصرف منها شيئا لغير الله تعالى. سواء كان هذا الغير ملكاً مقربا أو نبيا مرسلًا، أو ولياً صالحاً. فإن عُبدوا واستغيث بهم بعد موتهم في أمر لا مجال لهم في التصرف فيه، ولا قدرة لهم في العطاء والمنع، فعبادتهم راجعة إلى الشيطان اللعين، لأنه هو الذي تسبب في تحويل هذه الفطرة السليمة إلى الفطرة الخبيثة وهذا

واضح بين جلي لا يخفى على أحد ممن فطره الله تعالى على فطرة سليمة، فكان هذا الكتاب معولاً هداماً، ووسيلة خبيثة، وسعياً شيطانياً في الوقوف أمام دعوة جميع الأنبياء والرسل الذين يقول الله تعالى في حقهم: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت**﴾.

وأما قول النبهاني في استشهاده من كلام إمامه أحمد زيني دحلان وتلقيبه له بأنواع من الألقاب الضخمة ومنها قوله فيه: الإمام العلامة ناصر السنة الخ.. فقد قلدتموه أنتم أيضاً في رسالتكم، اتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية. بتلقيبكم له أعظم، وأكبر مما لقبه به النبهاني إذ قلتم: إنه شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، والحجة والمشارك الزاهد، الناسك، وغير ذلك من الأوصاف الكبيرة، وقد بينت بعض حاله، وكشفت عن بعض أمره وهو لا يستحق هذه الأوصاف بحال من الأحوال، وكنت قد نقلت عن الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد رشيد رضا من مقدمته العلمية التي وضعها على كتاب صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان

للعلامة الأثري الشيخ بشير السهسواني الهندي رحمه الله تعالى. ولقد عرفنا ببعض المعرفة عن حقيقة هذا الرجل أعني أحمد زيني دحلان، وما تمسك به من العقائد الفاسدة الخرافية مع أدلتها التي هي أضعف من بيت العنكبوت، فارجع أيها الأخ الكريم إلى كتاب صيانة الإنسان فإن فيه زيادة، وكفاية إن شاء الله تعالى.

وأما الشبهات التي نقلها محبكم، ومحب آل البيت في نظركم عن شيخه أحمد زيني دحلان وهو بدوره يزعم فيقول: ناقلًا عن شيخ الإسلام ومجدد الملة المحمدية الحنيفية السمحة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى بنقل غير معزو إلى أحد من كتبه الجليلة ورسائله النافعة، إذ قال عامله الله بما يستحق : فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم. قف: أين قال ذلك شيخ الإسلام؟، وفي أي كتاب صرح فيه بأن مجرد التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من إخوانه الأنبياء والصالحين شرك يخرج عن الملة؟. فإن ثبت عنه رحمه الله تعالى ذلك بنقل

صحيح في كتاب ما من كتبه العظيمة أو رسائله النافعة فيحمل على تلك الوسيلة الشركية التي يطلب فيها أصحابها من النبي صلى الله عليه وسلم ما نفاه عن نفسه الزكية الطاهرة في أحاديثه الصحيحة المخرجة في الكتب الصحاح المعتبرة عند أهل الحديث، وما نفاه عنه مولاه جل وعلا في محكم كتابه إذ قال جل وعلا مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم عندما كان يحاول بحرصه الشديد هداية عمه أبي طالب عند موته قال الله تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ [1] ـ وقال جل وعلا : ﴿**إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل**﴾[2] وأما توسل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته فهذا مشروع ثابت بأسانيد صحيحة كثيرة لا غبار على صحتها، ومن ينكر ذلك فهو ضال مضل، ولم ينكر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى هذه الوسيلة

(١) سورة القصص آية ٥٦

(٢) سورة النحل آية ٣٧

أبداً بل إنها جائزة ومستحبة في نظره وأنظار أهل الحديث رحمهم الله تعالى وهي أيضاً مشروعة في حق كل من كان من أهل الخير والصلاح والعبادة، والزهد، والورع وهو على قيد الحياة يطلب منه الدعاء، ويقال له: ادع الله لي يأأخي بصلاح الدين والدنيا والآخرة، ونحو ذلك، وأما توسل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بذاته الشريفة أو ذوات أخرى من الأنبياء والرسل الصالحين الميتين فلم يثبت في ذلك حديث صحيح خال من الشذوذ، أو عمل من أحد الصحابة بعد انتقال المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا حديث الأعمى ــ الذى تشبث به النبهاني ودندن حوله، ومعه مقلدوه، وأتباعه فهم كثيرون لا كثرهم الله تعالى ــ فإني سوف أتكلم عليه بالإسهاب متنا،وإسناداً[1] إن شاء الله تعالى عند الرد على النبهاني باستدلاله به، وبأحاديث أخرى على دعواه الباطلة، كل ذلك بالتفصيل. فكان هذا التوسل بذاته الشريفة، وبذوات أخرى عملًا محدثاً في الإسلام، نشأ عن الجهل،

(١) يلاحظ أن المؤلف لم يف بوعده في تخريج الحديث ولعله يقصد ذلك فى كتاب آخر. أ هـ الناشر.

وقلة العلم بقواعد الشريعة الغراء، ومناف لكمال عدل الله تعالى، ورحمته وشفقته على عباده، ومخالفاً للقواعد الإسلامية التي بنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، دعوته، وجهاده لإعلاء كلمة الله تعالى، ولم يقل أحد من أهل العلم أن هذه الوسيلة شرك، بل إنه عمل محدث في الإسلام وأن صاحبها والمتمسك بها على خطر عظيم، جسيم من أمر دينه، فليحذر منها، لأنه على قنطرة إبليسية خطيرة، تسقطه في أحضان الشرك في يوم من الأيام.

وأما مقالة النبهاني الشنيعة في شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وهى قوله: (إن كل ما تمسك به الوهابية، وابن عبدالوهاب في إضلال العباد فهو زور، وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين.

قلت: الأمر بالعكس كما سيأتي ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى عند كلامي عن الآيات القرآنية التي ساقها النبهاني في كتابه الباطل. وجعلها خاصة في كفار مكة الذين حاربوا دعوة رسول الله ﷺ، ولا يتناول منطوقها ولا مفهومها في نظره بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

أحـداً من المسلمين الحاليين، فلا يوجـد في زعـمه كفر ولا شرك أصـلا بعد وفاة النبي صلى الله عليـه وسلم في ذريـة الذين آمنوا به صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هكذا زعم هو وأتباعه الذين قلدوه في نظريته هذه.

ماهو مفهوم كلمة الوهابية عند النبهاني وأتباعه؟

لقـد كنت في بلادي السـند وأنا صغير لـم أبلغ الحلم وأسمع هذه الكلمة من أفـواه مشائخ الطـرق الذين كانوا دائما، وأبداً يحذرون عوام الناس وخواصهم منها، ووضعوا لها مفهوما خطيراً، تقليداً لغيرهم ممن سمعوا منهم، لدعاية خـبيثة ماكـرة، مع علمهم أنهـا جاءت من أسيادهم المستعمرين الذيـن كانوا يحكمون البـلاد الهندية وغيرهـا بالحديد والنـار لكي يصدوا بها الناس لئلا يقبلوا على هذه الدعوة الكريمة التي جدد الله بها دينه، وأعلى بها كلمته، وكـان العـدو يخشى من ظـهور هذه الدعـوة الكريمـة، وانتشارها في العالم كله خصوصا في القارات التي كانت

تحت سيطرته وبطشه، لأن هذه الدعوة الكريمة كانت تقف أمام العدو بالمرصاد وتحول بينه وبين مخططاته الإستعمارية الخبيثة.

ولم يكن هذا النوع من الدعوة الكريمة منحصراً وجوده في نجد وحدها فقط بل كان في كل مكان وزمان، وهناك رجال مخلصون يدعون إلى هذه الدعوة الكريمة إلا أن الدعوة لم تلق دعماً قوياً، ومساندة فعالة مثالية إلا في ديار نجد على يد الأمراء السعوديين وعلى رأسهم الإمام محمد بن سعود تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وجعل الجنة مثواه وسائر أبناءه وأحفاده رحمهم الله تعالى، فتقَوَّى أمر هذه الدعوة السامية فصار لها صدى عظيم في أنحاء العالم وأعدل دليل على ذلك أن من سمع الإذاعة البريطانية في تلك الأيام المباركة التي رجعت هذه البلاد مرة ثانية الى أهلها كانت تقول الإذاعة البريطانية: إن الجيش الوهابي فعل كذا، وترك كذا ومن هنا كان انتشار هذه الكلمة بمفهومها الخاص في أطراف العالم، نعم وصل صوت الدعوة الحلو الرنين، من أقصى الدنيا إلى أعلاها، ومن

أعلاها إلى أقصاها، في وقت لم تكن وسائل المواصلات موجودة البتة بمثل ما توجد في الوقت الحاضر، إلا أن العدو اللعين الماكر اتخذ ـ بسياسته الماكرة الخبيثة، وحيله الإبليسية دفاعاً لنفسه، ومخططاته الإستعمارية ـ سماسرة مأجورين من كل نوع وصنف في كل مكان ممن عُرفوا ببيع الضمائر رخيصة للإستعمار وهم ينتسبون إلى العلم زوراً وبهتانا أمثال أحمد زيني دحلان بمكة، والنبهاني بالشام، وأحمد رضا خان بالهند،وغيرهم عاملهم الله تعالى بما يستحقون.

نعم فاتخذهم العدو، واشترى ضمائرهم بمبلغ كبير من المال لكي يشوهوا حقائق هذه الدعوة السامية فأساؤا إليها بتلصيقهم إياها بأنواع من الدعايات المغرضة الفاسدة فحرفوا مبادئها العليا، وقواعدها الرفيعة وفي ضوء تلك الدعاية حرفوا القرآن الكريم ونصوص السنة الصحيحة حسب هواهم الفاسد، فجعلوا لهذه الكلمة (الوهابية) مفهوما خاصاً، ومعناً بشعاً خبيثاً لكي يدندنوا حوله فلما كان نجد قد ورد ذكره في الأحاديث الصحيحة وعدم دعاء

الرسول صلى الله عليه وسلم لأهله دون أن يحققوا ماهو النجد المعني في الحديث الشريف، ولم يلتفتوا إلى تلك القرائن الواضحة الظاهرة التي تنطبق على ذلك النجد، وماهو كلام أهل الحديث من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في نجد الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه... وقد ذكر العلامة ياقوت الحموي في معجم البلدان عشرات من النجود وكذا غيره وليس المراد الذي عينوه هم، فتركوا كل هذا مع علمهم ويقينهم أن نجداً الوارد في الحديث ليس هو الذي عينوه، وأشاروا إليه في هذه الدعاية الماكرة الخبيثة الفظيعة التي أقامها الإستعمار وعملاؤه في أطراف العالم على أنقاض هؤلاء السماسرة الدخلاء المأجورين، ومن هنا كان هذا المفهوم الجديد الخبيث شائعاً وذائعاً في أطراف العالم وهو أن الوهابية تعادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتحرم الصلاة عليه، وهدمت القباب والأبنية التي كانت مبنية على قبور الصحابة وغيرهم رضي الله تعالى عنهم، وكان للإستعمار في كل بلد، وقرية ممثل يقوم بنشر هذه السخافات

والترهات، ومن هنا انتشرت (كلمـة الوهابية) في العالم كله في شرقه، وغربه، وجنوبه، وشماله، بمفهومها الخـاص، فانظر فلسفة المستعمر. إن الداعـي في نجد إلى هـذه الدعـوة المحمدية كان اسمه بلا خلاف بين جميع المسلمين (محـمد ابـن عبدالوهـاب) فكان من الواجب أن تنسب الدعـوة بمفهومها الخاص عند هؤلاء بالقياس الصحيح عند جميع أهل اللغـة (بالمحـمدية) لأن اسم صـاحبها والداعـي لها (محـمد) وليـس الوهاب إلا أنهم لـم يرضوا بهذه النسـبة الصحيحة الموافقة للواقع واللغة العربية خوفاً على كشف مؤامرتهم الخبيثة أمام عوام الناس من المسلمين وخواصهم، لأن الدعـوة إذا حملت اسماً صحيحاً، ونسـبة صحيحة فلابد لها من قـبول، وإقبال عليها لأنها تحمل اسم رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وكنت مـمن اغتر بهذه الدعاية الماكرة الخبيثة وأنا في بلدي ــ السند ــ فلما أكرمني الله تعالى بالهجـرة الى هذه البلاد المقدسة وذلك فـي عـام ١٣٦٨هـ مـن بلدي ومسقط رأسي حظيت بلقاء إنسان كريم فاضل جاء من الهـند إلى المدينة مهاجراً إلى اللـه

تعالى، وكـان حاله سابقا كحالي، إلا أنه رحمه اللـه تعالى
التجـأ بعد الله تعالى إلـى مطالعة كتب شيخ الإسـلام ابن
تيمية رحمه اللـه تعالى عن طـريق الشيخ العلامة الطيب
الأنصاري رحمه الله تعالى فتلذذ بمطالعتها جداً حتى اعتنق
العقيدة السـلفية عن طريق هـذه الكتب النافعة ولابد من
ذكر هذا الرجل رحمه الله تعالى وهو العلامة الأثري الشيخ
رشيد أحمد بن إبراهيم الهندي رحمه اللـه تعالى المتوفى في
ذي القـعدة عام ١٣٨١هـ بالمدينة المنورة وكان رحمه اللـه
تعالى قد أسس بعد اعتناقه العقيدة السلفية مدرسة ـــ بناء
على موافقة سامية كريمة ـــ سماها دار العلوم السلفية، ومن هنـا
بدأت لي حياة جديدة بلقاء هذا الرجل الكريم فكان يلقي
إليّ دروسه في المسجد النبوي الشريف مساءً وكان يبكي
كثيراً عـند إلقائه الدروس فـي التوحيد فرحاً، واستبشـاراً
وكان يقول دائماً رحمه الله تعالى لو مت يابنيّ قبل اعتناق
هذه العقيدة الصافية النقية لمت على غير ملة الإسلام، ولما
كان يأتي اسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى
وكذا اسم الإمام ابن القيم والإمام المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى أثناء إلقائه الدروس كـان يترحـم عليهم كثيراً ويمجـد ذكرهم وشأنهم ودائما يوصي الطلبة بمطالعة كتبهم رحمه الله تعالى، وفي تلك الأيام بالذات قـد كشف الله تعالى عن قلبي الغطاء ثم عرفت بعد ذلك أن الدنيا والله في غيبوبتها وضلالها إلا ماشاء الله تعالى، ولقـد تأكدت حينئذ تماماً أن هذه الوهابية المزعومة في أنظـار هؤلاء لا تعادي الرسول صلى اللـه عليه وسـلم أبداً وإنما هي التي تحبه وحدها، لما درست عنها دراسة وافية شافية وعما تعتقده في رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وهـي التي توجب الصلاة علـى الرسول صلى اللـه عليه وسلم، وتجعلها ركنـا مـن أركان الصلاة، فـإن تركهـا أحـد عامداً، أو ناسياً بطلت صلاته عندهـا وهذا هـو مذهب أهل الحديث، بينما تنص كتب أخرى فقهية والتي تمسك بها هؤلاء الذين أقاموا هذه الدعاية الكبرى بأن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست ركناً من أركان الصلاة عندهم فإن تركها أحد ناسياً سجد سجدتي سهو، فلا تبطل صلاته عندهم، ومن هنا كتب

العلامة المحدث الشيخ مسعود عالم الندوي كتاباً بارعاً عظيماً في ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في اللغة الأردية دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن دعوته الكريمة وفند جميع شبه أهل الباطل: من عباد القبور والأضرحة التي تمسكوا بها فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء، وجعل الجنة مثواه ـــ هذا هو مفهوم الوهابية عند النبهاني والدحلان وأتباعهما فقد أكثرا من استعمال كلمة الوهابية في كتبهم ورسائلهم التي سبق الوصف الدقيق عنها، وللمقال بقية في العدد القادم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

فهذه حلقة ثانية من المقال الذى نشرته مجلة الجامعة الإسلامية الغراء في عددها الثالث الصادر من السنة الثامنة في شهر ذي الحجة لعام ١٣٩٥هـ. والذي وعدت فيه القراء الكرام بإتمام الموضوع في حلقات مسلسلة وها أنا مع الموعد المذكور داعيا المولى الكريم سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم، ومنهجه القويم الذى رسمه الله جل وعلا على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم للإنسانية كلها.

وكم كنت سعيداً في هذه الكتابة المتواضعة بأن تكون مناقشتي مع إنسان ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا وصهراً، فوالله إن له في نفسي لمنزلة كبيرة من الناحية المذكورة. وأما الحق فهو واضح بين لا غبار عليه أمام من رزقه الله تعالى فهما ثاقبا، وعلما نافعاً، وبصيرة تامة، ولقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته المكية بصفة خاصة بعد البعثة شارحا هذه الدعوة الكريمة التي لأجلها خلق الله الكون، وبعث الرسل، ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثلة رائعة في دعوته السامية أثناء وجوده بمكة، والمدينة أثناء أسفاره المتعددة لإعلاء كلمة الله تعالى حتى لقي ربه جل وعلا، فلم يترك خيراً صلى الله عليه وسلم إلا ودل الأمة إليه، ولم يترك شراً إلا وحذر الأمة منه فكان أعظم الخير الذي أتى به صلى الله عليه وسلم هو توحيد الله تعالى ذاتاً وصفة وعبادة فهو محور أساسي للكائنات كلها تدور حوله جميع أعمال الخير، والبر. إن صح هذا الأساس أو البنيان فقد صححت

بقية الأعمال والعكس بالعكس، ومن أعظم الشر الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة هو الشرك بجميع أنواعه الظاهرة والباطنة.

ولقد شرح القرآن الكريم هذين المعنيين وكذا السنة النبوية المطهرة، شرحاً وافيا وفصلاه تفصيلًا كاملًا فلم يتركا المجال لأحد كائن من كان ممن ادعى النبوغ في البلاغة، والفصاحة أن يخالف هذا الأساس المتين والبرهان الواضح والحجة القوية الباهرة ﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين، لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم**﴾[1] ولقد ظل النبهاني الذى مدحتموه في رسالتكم مخالفا لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوال حياته ظاهراً، وباطنا، وأما الظاهر فقد

---

١ ــ سورة التوبة الآيتان ١٠٩ ــ ١١٠

أوضحت ذلك في المقال السابق لكونه تولى تلك المناصب الهائلة ضاربا بأحكام الباري جل وعلا وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط، ولم يبال بشيء رادع يردعه عما أقبل عليه وفرح به من تحاكمه وحكمه إلى الطاغوت الكافر اللعين، وأما الباطن فلتنكره لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي دعوة التوحيد الخالص. فكتب كتاباً خبيثاً لا يزال وصمة عار يحارب فيه أولئك الأمجاد الكرام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين الذين جدد الله تعالى بهم الدين، وأعلى بهم كلمته ونشر بهم رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم وأسفا على النبهاني وعلى أتباعه الذين يمجدونه ويرفعون ذكره، وحاله معروف واضح أمام من أعطي أدنى فهم وعلم، ومعرفة في الدين، ولقد زعم النبهاني في كتابه شواهد الحق ــ وهي شواهد الضلال والكفر ــ أن الآيات القرآنية التي ساقها في التوحيد ونبذ الشرك أنها لم

تكن تشمل المؤمنين الموحدين في نظره، وليست العبرة بعموم اللفظ عنده، وقد خالف في ذلك جهابذة المفسرين ومع ذلك هو متمكن في اللغة العربية ومتبحر فيها!! ها أنا أبدأ بالرد عليه فيما زعم وحرف كتاب الله تعالى، مستمداً العون من الباري جل وعلا، والتوفيق والسداد في القول والعمل مسترشداً في ذلك بما جاء عن الله تعالى، في كتابه الحكيم، وفي صحيح سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وبأقوال أهل العلم من السلف الصالح رحمهم الله تعالى، نعم زعم النبهاني في هذا الكتاب: أن قوله تعالى: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾[1] وكذا قوله تعالى: ﴿**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء، وكانوا بعبادتهم كافرين**﴾[2] وكذا قوله تعالى: ﴿**فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من**

١ ــ سورة الجن اية ١٨
٢ ــ سورة الأحقاف الآيتان ٥ ــ ٦

المعذبين﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾[2] وقوله تعالى: ﴿له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاد وماهو ببالغه، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾[3] وقوله تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير﴾[4] وقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم، ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان محذوراً﴾[5] قال النبهاني عقب هذه الآيات: وأمثال

---

١ ــ سورة الشعراء آية ٢١٣
٢ ــ سورة يونس آية ١٠٦
٣ ــ سورة الرعد الآية ١٤
٤ ــ سورة فاطر الآيتان ١٣ ــ ١٤
٥ ــ سورة الإسراء الآيتان ٥٦ ــ ٥٧

هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها ــ أي محمد بن عبدالوهاب ــ على الموحدين وقال في موضع آخر من كتابه ــ قبل سرد هذه الآيات ــ: وزعم ــ أي محمد بن عبدالوهاب ــ أن ذلك كله شرك، وحمل الآيات التي نزلت في المشركين على الخواص، والعوام من المؤمنين. ثم ساق هذه الآيات الكريمات.

فأقول: لقد صدق العلامة محمود شكري الألوسي في كتابه «غاية الأماني في الرد على النبهاني» إذ قال رحمه الله تعالى: فإن الرجل جاهل ــ أي يوسف النبهاني ــ كما ستعلمه من رد كتابه هذا، سقيم الفهم بإخبار العدول الثقات ورواية الصادقين من الرواة، وما نشره من هذيانه الصريح، أعدل شاهد على ذلك وأصح دليل على ما هناك، فضلا عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه وخالطوه، وعرفوا حاله، وشاهدوا أعماله، ثم ذكر فيه بقية الكلام[1] قلت: الآية التي ساقها النبهاني من سورة

---

١ ــ غاية الأماني في الرد على النبهاني ص ١/٥٣

الأحقاف وهي قوله تعالى: ﴿**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**﴾ إن هذه الآية نزلت بمكة تصف حال المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام وهي اللات والعزى والهبل وغيرها من الأصنام، والآية تحكي قصة حال المشركين، وعن سفاهة عقولهم، وفساد فطرتهم، إذ كانوا يدعون من دون الله تعالى هذه الأصنام وإن كانت عبادتهم، ودعاؤهم لم تكن مقصودة لها، لأنهم اتخذوها علامات، وشعائر لأصحابها لكي يتصوروا وجودهم عن طريق هذه الأجسام الحجرية عند الدعاء والاستغاثة بهم، ولقد أخرج الإمام البخاري في الصحيح، وكذا الإمام ابن المنذر وابن مردويه في تفسيرهما عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب، بعد: أمَّا ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد

ثـم لبني عطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق، فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسماءهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[1] قلت فهذه الرواية الصحيحة تزيل شبهة قوية تمسك بها النبهاني ومن سار على منهجه من الأقـزام بأن قريش كانت تعـبد الأصنام الحجرية معـتقدة فيهـا الخير والشر. والأمـر ليس كذلـك وإنما كانت تعـبد مسمياتها كما تشير إليه هذه الرواية، ولقد شرح هذه الرواية الحافظ في الفتح شرحا مفصـلا ورد على الواقدي في زعمه إذ قال: كان ود على صـورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة طائر، ثم قال الحافظ: وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا على صـورة البشر، وهـو مقتضى ما تقدم مـن الآثار فـي

١ ــ أخرجه البخاري في التفسير سورة رقم ٧١ باب (١) حديث رقم ٤٩٢٠ ص ٨/٦٦٧ الفتح أنظر الدر المنثور ٨/٢٦٩

سبب عبادتها والله أعلم[1] قلت: الذي حكم عليه بالشذوذ هو منكر، لأن الواقدي متهم بالكذب فلا عبرة بروايته، وأما أصنام قريش: فمنها اللات، والعزى، والهبل وأساف ونائلة، فهي أيضا أسماء لرجال صالحين قال الإمام ابن الأثير في النهاية: وفي حديث مجاهد في قوله تعالى: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى**﴾؟ قال: كان رجل يلت السويق لهم، يريد أن أصله اللات بالتشديد لأن الصنم سمي بإسم الذى كان يلت السويق عند الأصنام، أي يخلطه فخفف، وجعل اسما للصنم[2] وقد أخرج البخاري في الصحيح بإسناده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿**اللات والعزى**﴾ كان اللات رجلا يلت السويق للحاج[3] وقال الحافظ في الفتح: وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بنماللك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، ولفظه فيه زيادة، كان يلت السويق على الحجر، فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه، واختلف في اسم

١ ـ الفتح ٨/٦٦٩

٢ ـ النهاية لابن الأثير ٤/٣٢٠

٣ ـ البخاري حديث رقم ٤٨٥٩

هذا الرجل. فروى الفاكهي من طريق مجاهد قال: كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم فكان يسلو من رسلها، ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيسا ويطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبدوه[1] ثم قال الحافظ: فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات، قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدوها، وبنوا عليها بيتا، وقد تقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذى حمل العرب على عبادة الأصنام[2] قلت: وهكذا سائر الأصنام التي عبدت من دون الله تعالى، كانت هي علامات وشعائر فقط، وإنما العبادة كانت لمسمياتها، كما روى لك حبر الأمة، وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقد عرف الإمام ابن الأثير ـــ وهو إمام في اللغة ـــ الصنم بقوله: قد تكرر فيه الصنم والأصنام وهو ما اتخذ إلها من دون الله تعالى، وقيل: هو ما كان له جسم

١ ـــ الفتح ٨/٦١٢

٢ ـــ المصدر السابق.

أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن[1] قلت: فعلى هذا التعريف تدخل فيه القبور وغيرها التي تعبد من دون الله تعالى، وإن كانت عبادتها راجعة إلى الشيطان لا إلى أصحابها، إلا إذا كانوا راضين بها في حياتهم فهؤلاء هم الطواغيت. وقد أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللعن على الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، سدا للذرائع وقطعا لوشيجة الشرك. ومن الجهل الواضح أن يقال لإنسان يدعو غير الله تعالى في أمر لا مجال للمخلوق ولا قدرة له على إنجازه ثم يكون هذا الداعي لغير الله تعالى والمستغيث بسواه موحداً ومؤمناً في نظره كما زعم النبهاني في كتابه شواهد الحق. نعم يجب على المسلم أن يفكر في هذه الآية الكريمة وما في معناها وفي سياقها البليغ الفصيح الذى لا قدرة للإنسان مطلقا أن يأتي بشيء من هذا الأسلوب البلاغي الحكيم. إذ يقول جل وعلا ﴿**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون**﴾ فاستعمل جل وعلا

---

١ ـ النهاية لابن الأثير ٣/٥٦

في هذا السياق المبارك لفظة «من» وهي تستعمل لذوي العقول عند جميع أهل اللغة ما عدا النبهاني ــ ومن سار على نهجه في الضلالة ــ فإنه خالف اللغة العربية وقواعدها ولقد سبق أن خالف السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، وخالف نص القرآن الكريم، وظاهره، ومنطوقه، ومفهومه، ولو لم يكن كما ذكر، فكيف ارتضى لنفسه أن يقبل رئاسة محكمة الحقوق المدنية ببيروت، ومات عليها، وهي محكمة لا دينية ولا مذهبية وكيف ينسب نفسه إلى الشافعي وهو بريء منه؟!، ولقد سبق أن نقلت عن غاية الأماني في الرد على النبهاني ما قال فيه جهابذة العصر، وكيف جاز لمحب آل البيت النبوي أن يخالف النظام السماوي العادل المبارك الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند مولاه جل وعلا، فكما ارتكب النبهاني في قبوله تلك المناصب الكفرية جريمة كبيرة. ارتكب في تفسير هذه الآيات القرانية وتحريفها على غير مراد الله جل وعلا، وعلى غير مراد رسوله صلى الله عليه وسلم، إنها محنة عظيمة للإسلام أن يبتلى بأشخاص

لاحظ لهم من العلم النبوي الصحيح من علم الكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف الصالح فيفتوا الناس بالضلال، والكفر، فضلوا وأضلوا.

نعم لا زلت في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف، بأن الأصنام لم تتخذ غاية في الدعاء والعبادة، والاستغاثة، وإنما كان مقصود كفار قريش كما أخرج البخاري وغيره رحمهم الله تعالى في دعائهم واستغاثتهم بهؤلاء الرجال الصالحين ولهذا يقول جل وعلا ﴿**ألا لله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**﴾[1] ولقد صور القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة، وغيرها موقفهم من عبادتهم، ودعائهم لغير الله تعالى، بأنهم لم يكونوا قد قصدوا دعاءهم وعبادتهم لهذه الأصنام ولا لأصحابها ـــ أي مسمياتها ـــ وإنما كان قصدهم من ذلك العمل الشنيع، أن يقرب هؤلاء الأصحاب إياهم إلى

---

١ ـــ سورة الزمر الآية ٣

الله زلفى، فكان المقصود عندهم هو الرب جل وعلا، كما نصت آية الزمر على هذا المعنى، فلم يكونوا قد اعتقدوا في هذه الأصنام الحجرية وغيرها الضر والنفع ذاتيا. ولقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى في آية أخرى ﴿**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين**﴾[1] وقد أورد الإمام السيوطي في تفسيره الدر المنثور، أثراً إذ قال رحمه الله تعالى: أخرج عبد ابن حميد عن محمد بن كعب القرظي رضي الله تعالى عنه، في قوله تعالى ﴿**ولا يغوث، ويعوق، ونسراً. وقد أضلوا كثيراً**﴾.

قال رحمه الله تعالى: كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم بعدهم يأخذون كأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم، فكنتم تنظرون إليهم، فصوروا، ثم ماتوا فنشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها فعبدوها[2] قلت فالأمر في ذلك

---

١ ـ سورة الأعراف الآية ١٩٤.

٢ ـ الدر المنثور ٨/٢٦٩.

واضح بين، جلي، لا يخفى على أحد إلا من خبثت فطرته، وبخست قريحته من عباد القبور والأضرحة، وقد عاملهم الشيطان نفس المعاملة التي عاملها قوم نوح، ثم مع قريش، وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير مفسراً هذه الآية الكريمة: ﴿**ومن أضل ممن يدعوا من دون الله**﴾: استفهام على سبيل الإنكار والمعنى أنه لا إمرأ أبعد عن الحق، وأقرب إلى الجهل ممن يدعو من دون الله الأصنام فيتخذها آلهة، ويعبدها، وهي إذا دعيت لا تسمع، ولا تصح منها الإجابة لا في الحال، ولا بعد ذلك اليوم إلى يوم القيامة، ثم قال رحمة الله تعالى: وقال بعضهم: بل المراد عبدة الملائكة وعيسى، فإنهم في يوم القيامة لمظهرون عداوة هؤلاء العابدين قلت: هذا المعنى هو الصحيح، لأنه يؤيده قوله تعالى: ﴿**وهم عن دعائهم غافلون**﴾ وكيف يعقل وصف الأصنام وهي جمادات بالغفلة؟. وكيف جاز وصف الأصنام بما لا يليق إلا بالعقلاء؟ وهي لفظة «من» وقوله ﴿**وهم غافلون**﴾، أجاب الإمام الرازي عن هذا الاعتراض ــ مع ذكره ــ بقوله:

قلنا إنهم لما عبدوها، ونزلوها منزلة من يضر وينفع صح أن يقال فيها: إنها بمنزلة الغافل الذي لا يسمع، ولا يجيب، ثم قال: وهذا هو الجواب أيضا عن قوله: إن لفظة «من» ولفظة «هم» كيف يليق بها؟ قلت: مع منزلته العلمية الكبيرة في الإسلام، وباعه الطويل في الكلام، والفلسفة وغيرها من العلوم. لم يصب الإجابة الصحيحة إلا في آخر كلامه إذ قال رحمه الله تعالى: وأيضا يجوز أن يراد كل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير، والأصنام إلا (أنه[1]) غلب غير الأوثان على الأوثان)[2]. قلت: هذا المعنى الأخير الذى ذكره، هو الوجيه والموزون، لأنه أيده القرآن الكريم في مواضع كثيرة: منها قوله تعالى: ﴿**وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته، فقد علمته، تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب، ما قلت**

---

١ ـ ما بين الحاصرتين ساقطة من الأصل. أهـ الناشر.

٢ ـ التفسير الكبير للرازي ٦/٢٨.

لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾[1] قلت: فهذه الآية نص صريح على أنهم عبدوا عيسى عليه الصلاة والسلام، واستغاثوا به ودعوه في أمور لم تكن له بها قوة على كشفها عنهم، فإذا كان عيسى عليه الصلاة والسلام وغيره من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام قد عُبِدوا من دون الله تعالى كما نص القرآن الكريم فغيره من الأولياء والصالحين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من باب أولى، ولما لاحظ الصديق رضي الله تعالى عنه هذا المعنى في الأمة المحمدية ألقى أول خطبة بعد الخلافة كما أخرجها البخاري، في الصحيح وابن ماجة في السنن، والإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، وجاء في تلك الخطبة التاريخية المباركة: فتكلم أبوبكر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

---

١ ـ سورة المائدة الآيتان ١١٦ ـ ١١٧

وقال: إنك ميت وإنهم ميتون وقال: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين الحديث[1]

قلت: فهل كان أبوبكر وعمر وهابيين في نظر النبهاني وأتباعه؟ لولا خوف الصديق رضي الله تعالى عنه من وقوع الأمة في الشرك لما كان رضي الله تعالى عنه قد خطب بهذه الخطبة بهذه الصراحة الواضحة في هذا الوقت الحرج على الأمة، وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في الجامع الصحيح من خطبة عمر رضي الله تعالى عنه في هذا الباب أيضا وذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك في الغد من يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتشهد، وأبوبكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا. ويريد بذلك أن يكون آخرهم، ثم قال

١ ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر الباب رقم ٥ الجزء الرابع.

رضي الله تعالى عنه: فإن يك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات، فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر الحديث[1] ولقد برع الحافظ في الفتح في الكلام على هذا الحديث براعة علمية لا نظير لها في عصره فيما علمت، إذ تكلم على تخريج الحديث وزياداته وفنون إسناده، ولطائف معانيه فجزاه الله تعالى خير الجزاء، ولم يترك شبهة إلا أزالها، وأثبت رحمه الله تعالى تلك المعاني السامية، التي حملها هذا الحديث الشريف في طياته، في إثبات الهداية القرآنية الإلهية، وكذا أثبت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفاة حقيقية، وأن البقاء لله جل وعلا، ولا يزال القرآن الكريم يدعو بصراحة في آياته، وسوره إلى المقصد الأعلى والأسمى الذي بعث لأجله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في تثبيت العقيدة الصافية النقية: وهي عقيدة توحيد الألوهية

١ ـ المصدر السابق ٣/٢٠٦ فتح الباري.

وعقيدة توحيد الأسماء والصفات، فلا مجال لهؤلاء الخفافيش، ولا قدرة لهم في الإساءة إلى هذا الأصل العظيم، والبنيان الراسخ، والحجة القوية الباهرة التي ترك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته، ولا يمكن أن تنجح دعوة ما كائنة ما كانت، إن خالفت هذا الأصل الوثيق، والخط المستقيم، والمنهج الرفيع، فإن دعا أحد إلى إصلاح أحوال البشرية على غير الخط الذى رسمه القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فإن دعوته لا تنجح أبداً، فإن ضربت لك أمثلة حية على ما قلت، ناقلًا ذلك عن الحوادث التاريخية المتواترة منذ أن طلع نجم الإسلام في الآفاق إلى يومنا هذا، لما كانت تكفيني هذه الصفحات، وللعاقل اللبيب أن يقلب صفحات التاريخ الإسلامي الحافل، أو ينظر فيما وقع أمام عينه، وبصرهِ من حوادث خطيرة، ضاعت فيها النفوس البريئة وانتهكت لها الأعراض، وسفكت عليها الدماء ونهبت فيها الأموال، ثم يتذكر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الإنقلاب التاريخي العظيم، الذي تنفست فيه الإنسانية لأول مرة في التاريخ الإنساني الطويل، بنفس راحة، وعزة،

وكرامة، وشرف، وغير ذلك من المعاني السامية. نعلم بهذا التقرير الواضح، آن النبهاني كان كاذبا في دعواه التي ادعاها وهو ليس هناك شرك، ولا كفر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن تلك الآيات القرآنية التي ساقها في كتابه وزعم أنها لا تشمل المؤمنين الموحدين الحاليين في نظره، ولو دعوا غير الله تعالى، واستغاثوا به، وأن دعاء الأموات والاستغاثة بهم وهم في قبورهم ليس بشرك، وإنما الشرك في نظره دعاء الأصنام فقط، ولا يبالي بالقواعد الأساسية التي وضعها علماء التفسير، من السلف الصالح في فن أصول التفسير «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

ماذا يقول النبهاني وأتباعه ومقلدوه في آية الحج وهي قوله جل وعلا ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي**

عزيز﴾[1] قلت: لم تترك هذه الآية الكريمة أي شبهة قد يتمسك بها أهل الباطل فإنها تصرح أن الذى يستحق الدعاء والاستغاثة لابد من أن توجد فيه صفة الخالق وهي أن يخلق الذباب، ولقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في سورة فاطر إذ قال جل وعلا: **﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات، أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه، بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غروراً﴾**[2] قلت: هذه الآية تفند الشبه التي تمسك بها النبهاني وأتباعه والآية صريحة واضحة بينة لا غبار على معناها، أن من يُدعى من دون الله يجب أن تتوفر فيه هذه الصفة التي نص عليها القرآن الحكيم وهي أن يخلق أرضا، أو يكون له شرك مع الله تعالى في خلق السموات، فلما لم توجد هذه الصفة ولن توجد في مخلوق ما، مهما بلغ الرتبة العليا في منزلته عند مولاه جل وعلا، فلا حق له أن يسمح لأحد بدعاءه إياه في

---

١ ــ سورة الحج الآيتان ٧٣ ــ ٧٤

٢ ــ سورة فاطر آية ٤٠

أمر لا مجال له، ولا قدرة معه على كشف الأمور المفصلة التي اختص الله تعالى وحده على كشفها وحلها، وهنا آية أخرى مماثلة في هذا المعنى في سورة الرعد: إذ قال الله تعالى: ﴿**قل من رب السموات والأرض قل الله، قل أفاتخذتم من دونه أولياء، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً، قل هل يستوي الأعمى والبصير، أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقة، فتشابه الخلق عليهم، قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار**﴾[1] قلت: هذا وصف دقيق فيمن يستحق الدعاء، والاستغاثة والخوف والخشية والرجاء والتوكل والإنابة، والاستعانة، وغير ذلك من العبادات.

فهل يوجد هذا الوصف الذى أورده القرآن الكريم في سوره وآياته في غير الله تعالى من نبي مرسل، وولي صالح وشهيد؟ حتى يستحق الدعاء والاستغاثة، لا والله ورب محمد صلى الله عليه وسلم، ويقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الأنعام ﴿**وجعلوا لله شركاء الجن، وخلقهم، وخرقوا**

١ ــ سورة الرعد الآية ١٦

له بنين وبنات بغير علم، سبحانه وتعالى عما يصفون﴾[٢] فهذه الآيات كلها تتفق على معنى واحد ولكن أين العقول الراجحة، والقلوب الواعية. والضمائر الحية تدرك هذا المعنى الظاهر، يقول تبارك وتعالى في سورة الأعراف **﴿قل لا أملك لنفسي نفعا، ولا ضراً إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾**[٢] فالآيات هذه تنادي بأن الذي أتى به النبهاني أنه فرية عظيمة، وافتراء مكشوف على الإسلام، والمسلمين، وأن الشبهة التي تمسك بها شبهة هزيلة نشأت عنده عن جهل مركب وفساد عريض في قلبه وقد اكتفي بالكلام على آية الأحقاف عن بقية الكلام على الآيات التي ساقها النبهاني ـ فإن الكلام عليها بمثل هذا الكلام الذي أوردته على هذه الآية ـ خوفا من الإطالة. نعم يجب على المسلم التقي البار أن يتدبر في آيات القرآن الكريم التي فصلت

---

٢ ـ سورة الأنعام الآية ١٠٠

٢ ـ سورة الأعراف الآية ١٨٨

هذه القضية فشرحتها شرحاً وافيا ولم تترك أي شبهة قد يتمسك بها ممن لا عقل له، ولا ضمير وقد فسدت قريحته وخبثت فطرته بحكايات واهية كاذبة، وأرى من الضروري أن أورد هنا قصة غزوة آحد التي فيها عبر، ومواعظ، وما جرى فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم العصيب وما جرى لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: من محنة عظيمة شاقة، إنها قصة جهاد طويل وجهود مباركة أقدم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه، أخرج الإمامان البخاري ومسلم، وكذا الترمذي، وابن ماجه في سننيهما، والإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته، حتى سال الدم على وجهه فقال صلى الله عليه وسلم: كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت هذه الآية. ﴿**ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، فإنهم ظالمون**﴾[1] ولقد عقد الإمام البخاري

---

١ ـــ سورة آل عمران الآية ١٢٨

بابا في الجامع الصحيح بعنوان باب «ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون» ثم ذكر الحديث، وقال الحافظ في الفتح شارحاً هذا الحديث: قوله: وقال حميد، وثابت عن أنس، شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾، ثم قال الحافظ، قال ابن اسحاق في المغازي حدثني حميد الطويل، عن أنس قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد، وشج وجهة فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله الآية، ثم ذكر رواية مسلم، فقال: وأما حديث ثابت، فوصله مسلم من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد وهو يسلت الدم عن وجهه كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وأدموا وجهه، فأنزل الله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي

كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى وجرح شفته السفلى، وآن عبدالله بن شهاب الزهري هو الدي شجه في جبهته، وأن عبداللـه بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إزدرده، فقال لن تمسك النار، وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: فما حرصت على قتل رجل حرصي على قتل أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبدالله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد فشج وجهه، وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم من وجهه، مالك أقمأك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة[1] قلت: هكذا ترى وتشاهد في هذه القصة ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك

---

١ — الفتح ٣٦٥ ـ ٧/٣٦٦

اليوم، وما تلفظ به صلى الله عليه وسلم عندئذ، وماذا كان جواب ربه جل وعلا في تلك الساعة. تدبر أيها المسلم في دعوة القرآن الكريم الصريحة الواضحة، البينة، وماذا جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل إنجازها، ونشرها، وإيصالها إلى الناس، اقرأ القرآن قراءة تدبر، وإمعان، وتفكير سليم، وافتح قلبك، وضميرك لفهمها، وتلقيها، وإياك وخزعبلات النبهاني والكوثري، والدحلان ومن سار على نهجهم في الكفر، والضلالة، ثم اقرأ قوله تعالى في سورة الأعراف مرة ثانية ﴿**ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**﴾[1] ثم تدبر قصة أُحد، وما جرى فيها لرسول الله ﷺ من محنة عظيمة، وما تلفظ به ﷺ فإنك ستجد بين هذه الآية الكريمة، وبين قصة أُحد، تطابقاً كاملاً، وموافقة تامة، وأن الله جل وعلا له حكمة بالغة، فيما جرى لنبيه صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، ويوم حنين، ويوم الطائف قبل الهجرة.

---

١ ــ سورة الأعراف الآية ١٨٨

أخـرج مسلم في الصحيح، وأبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجـة في سننهم ومالك في موطئه، والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وجاء فيه. فـإني سمعت رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول: قال اللـه عـز وجـل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، وقال مرة: لعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد للـه رب العـالمين، قال: حمدني عـبدي فإذا قال: الـرحمن الرحيم: قال مجدني عبدي، أو أثنى عليّ عبدي فإذا قال: مالك يوم الدين: قال: فوّض إليّ عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: فهذه بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، وقال مرة: ما سألني عبدي ثم ذكر الحديث[1]

قلت: فالشاهد في هذا الحديث الصحيح واضح بين، وهو عهـد قطعه العبد على نفسه، إيـاك نعبد وإياك نستعين، فالقـرآن كله دائر حول هـذا العهد وأنه محور أساسي علـى صلاح الأعمال، والعقائد والعبادات، إن صح هذا العهد

---

١ ـــ أخرجه مسلم الصلاة حديث رقم ٣٨،وأبوداود في السنن الصلاة باب رقم ١٣٢، والترمذي في السنن في تفسير سورة الفاتحة،والنسـائي الإفتتاح باب

مع المولى جل وعلا فسوف تصح الأعمال كلها، فصلحت الإنسانية به، وإن انتقض كما هو دأب النبهاني، والدحلان، والكوثري وغيرهم وهم كثير ــ لا كثرهم الله تعالى ــ فسدت الإنسانية كلها بانتقاضها إياه، فحلت المصائب الكبرى عليها من مرض، وفقر، وجهل وغير ذلك من المصائب الإجتماعية والأمراض الفتاكة، والويلات، والحروب، وسفك الدماء، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رقم ٢٣،وابن ماجة في الأدب باب رقم ٥٢، ومالك في الموطأ باب رقم ٣٩، والإمام أحمد في مسنده ٢/٢٤١، ٢/٢٨٥، ٢/٤٦٠.